

بَحْرَةُ الطَّمِي

✱ ● ✱

« يتحدث الطمي » .. عنوان على مجموعة من القصائد استلهم فيها البناء الأولي الذي تشكل فيه عقلي ووجداني وانا افتح طريقي للعالم مندهش العين ، مرتجف القلب .

هذا البناء الأولي هو الخرافات الصغيرة وطقوس الحياة والموت والتفسيرات الرائعة لكل ظواهر الخصب والعقم في الارض والانسان . وكلها اطار عظيم يضم بين جوانبه وجدان قريني «رملة الانجب» .. وفي قريني يتحدث الناس بلغة شعرية مركزة، وتحدث الحوائط والاشجار والطي والسواقي .. تتحدث بالشعر .. فيا قريني .. دعيني احمل من كنوزك ولو بعض الحصى .. وعدرا ان كانت يداي هزليتين .

٢٠٤٠٢

- ١ -

اللوحه الاولى :

تفتح قلبه يوما على الشمس
أدارت رأسه انشوطه الهمس
« دجاجتنا لها ديكان
ومخزن قمحنا نهته ايدينا
لنطعم ضيفنا ونجوع بعد بشنس »
ويمرق عبر دهليز يغط بصمته الليلي مرتعشا وسأمانا
يغمغم بارد الشفتين عريانا
يحدق في زوايا الدار ، يسمع ما تكتمه الحجار الخرس
يدق مغالق الدهليز

« كيف يفر من جدراننا الشبح
نكاد نراه ، لكن أخطاته بظلمة الغرفات ايدينا »
وتفتح امه بابا يصر صريره الصدئي
« هذا الصوت يشرب من دمي المسجون
ويشعل مقتني المدفون
لما في الدار من مبهم
وما في الاعين السوداء من تاريخها المظلم »
تقول له : انتظرنا وجهك المصفر من جوع
لنأكل في وليمة عيدنا البرور
وتنعس في حرام الصوف حتى يعبر الديجور

بما فيه من الريح الشتائية
تقبل وجهي الثلجي ، تعطيه الطعام البارد المرق
وتحمل قبضة من ارزها المعجون في الطبق
وخبزنا ناشفا ما بين مهروس ومحترق
فيغرس في سواد عيونها عينيه
« في اغوار عينيك
ملاحم ظلمة حمراء

ونبع طافح بالصمت والشك »
يقول لها : اكلت الصبح يا امه
فقد اعطنتني الطرقات بعض نباتها الطيب
« وفي عينيك لم اشبع من الاسفار
ولم ابحر سوى للريح
وفارغتان عيناك
وعامرتان بالاسرار
ومظلمتان يهرب فيهما الشبح »
تقول له : تدثر بالحرام الصوف

فهذا الليل مرتعس من البرد
يقول لها : تفح النار في كبدي
« هبيني تديك المسموم

لارضع سمك الاخضر
فارجع مرة اخرى صغيرا مغمض العينين
وطفلا دون ذاكرة ، بلا ظل
خديني مرة اخرى الى جنبك
دماء ليس تنعقد
وماء طائرا في الصدر والثديين »

تقبل وجهي الثلجي ... يرتعد
يفر اللون من عينيه ، يهوي فجأة بالخنجر المسنون
على الام التي شهقت بكل ضميرها للموت
يشق الصدر ، يقطع قلبها ويدسه بثيابه الحمراء
فيرتعس الصدى الاحمر
وتتكفىء الظلال الحمر في عينيه
ويهرب قبل ان ينهد سقف البيت
يفر خلال ارض اقفرت الا من الاعين
يفر خلال احداق بلا اجفان ...
اللوحه الثانية :

جوقة الرجال :

خلال الارض ينسكب الدم المسفوح
ويصرخ قطرة قطره
ينادينا
لكي تقتص ايدينا
لما ارداه نصل القاتل السفاح
من الاحلام والخمره
وغرغرة التشهي الحي في الاعماق

جوقة النساء :

خذوه قبل ان تتراكض الاخبار
بما فضحته عيناه
وما اقترفته يمناه
خذوه قبل ان تتقلب الاشباح
لتهدم في ظلام الليل مخدعنا
خذوه قبل ان تتنفس الاخطار
فيحلم بالنصال الخرس صبيتنا
وتخفقهم روائحنا
ويغتسلوا بنبع دمائنا المغدور

جوقة الرجال :

ويا للعار
اذا ما افلته مشانق الاشجار
ولم تصرعه تحت نصالنا الامطار
ويا للرعب اذ اخفته اجنحة من الظلمة
او انطرحت عليه جدائل الكوكب
لينعس او تحط بشائر الرحمه

جوقة النساء :

خذوه قبل ان يمضي الى جيمزة المغرب
وجيئونا به في القيد كي نسقيه
ونطعمه قبيل الموت او نبيكه

جوقة الرجال :

ستقتله مدينتنا
بكل رجالها الأبرار
سنجعله يصب دمائه في النهر والابار
ليشرب منه صبيتنا

ستشنتقه مدينتنا
بكل فروعها الخضراء
لتنعس أمهات رجالها مزمومه السفيتين

جوقة النساء :

دعونا نمسح الزبد الذي يطفو على العينين
وننظر فيهما الاحزان

جوقة الرجال :

ستطرحه مدينتنا لتأكل وجهه النؤبان
وتخطف قلبه الغربان
سنحرم منه دود الأرض كي لا نركم الفيضان
ولكننا نرى فيكن بعض مشاعر الطيبه
ويأخذكن بالارجاس ضعف يقطر الرحمه

جوقة النساء :

سنصرخ كي تردوا جسمه المطروح للأرض
سنترك دورنا وسنهجر السرر الشتائيه
إذا لم تدفنوا عينيه في الظلمه
إذا لم تطرحوه على قباء الام كي يرتاح

جوقة الرجال :

مدينتنا محرمة على اضلاعه الزرقاء

جوقة النساء :

قساة يا رجال الأرض
لأنكمو بلا أرحام
لأن صدوركم لم تتنفذ بمسارب اللبن
تعالوا ... واسألوا امه
ستحصبكم بما في القبر من حصباء
ستندبه بما قد كان بينهما من اللبن

اللوحة الثالثة :

يفر خلال احداق بلا اجفان
يراوغ حائطا اخرس
ويرعبه اهتزاز شجيرة كتعاء
« ولو اني تركت علامة الموت
لما اختطفنتني الاشباح
ولو اني غسلت يدي من شاراتها الحمراء
لما اختنقت صمامة قلبي الابرس
لحطت في دمي بالنوم والصمت »
تحط على يديه ذبابة زرقاء
وفي جنبه حطت بومة خرساء
تنقر قلبه المصلوب
تضيق الأرض ،

تنشعب الطريق مساربا مسدودة الابواب
« لماذا صلبتك الريح يا جميلة المغرب !!

تطن بجوفك الاصوات

جذورك ارجل هبت تلاحقني

أنا متعب

أنا متعب

سأهرب من هنا ، أو من هنا ، أو من
نهاية أول المسرب

سأمرق من هنا ... يا شمسي السوداء

خذيبي ، وأطرحي فوق عباءة قلبك الطيب

اذيقيني ثمار النوم في الظلمه

خذيبي واغسلني قلبي على جسر من الرحمه »

تضيق الأرض ، تزحف نحوه شجرا وجدرانا

على عتباتها عينان سوداوان

يحدق فيهما ..

« لو انني جعت

لمت هنا بلا لقمه »

ويسمع شهقة غواردة مفروسة في اضلع الريح
تدور بنهدها نصل وفي العينين رعب صارخ الروح
يرى عينين غاربتين في جميزة المغرب
يرى وجها بلا شفيتين

وفوق يديه خيط دم بلا لون

وقلب الام تحت قبائه ما زال يرتعش

« ولو اني عن الجسر الرهيب الطين ابتعد !! »

يولي وجهه للريح ، ينكفيء

يعض الأرض ، يصبغ طينها بالرغوة الحمراء

وقلب الام يجهش نادبا ويئن بالرحمه

يفرغر وهو بالفقران يرتعش

يقول : سلمت يا ولدي

- ٢ -

بزاوية من الدار

يحط الصمت فوق اناة فخار

فيأخذه النعاس البارد الخفين في الصيف

يجوس به خلال حدائق الاحلام

فيضحكه اخضرار شجيرة عذراء

ويبيكه عراك الصبية الايتام

ويرفع وجهه المبتل نحو النازح المحزون والضياف

يحدث في ليالي الوحدة الخرساء

صواجه من الجدر الترايبه

عن الطين العميق الصوت في الفيضان

يصير يمامة ويصير سنبله وانسانا

وحين تعود من اسفارها الشمس

يقول : عموا صباحا ايها الاطفال

ويعرق وجهه البني ، ينضح صدره بالحلم والظل

يسيل عصيره ، يهوي قطيرات من السره

يقول : غدا سأخرج آخر الليل

لارجع طينة ، واذوق طعم تحولي ، واصير جميزه

ارى الفيضان تشرب زرقة الافق

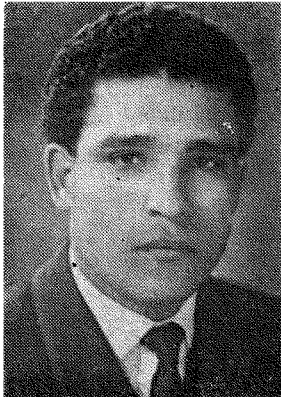
واملاً افرعي من طيرها الليلي والاثمار

امد يدي احضن اوجه الريح

وانتظر الصغار السمر في الصبح

لاجمعهم الى نديي ، ارضعهم ،

اعلمهم غناء الأرض والاشجار ...



محمد عفيفي مطر

القاهرة